آراء

«مايكل فلين رجل رائع. أعتقد أنه عومل بصورة غير عادلة بالمرة من قبل وسائل الإعلام، التي أسميها وسائل الإعلام المزيفة في كثير من الحالات».

دونالد ترامب
الرئيس الأميركي

«زيارة روحاني إلى الكويت ستسـهم في بلورة توافق مشـترك بين الجانبين الخليجي والإيراني بما يتعلق بالحوار الذي نتطلع إليه والذي سوف يشكل أساس أمن واستقرار المنطقة».

خالد الجارالله
نائب وزير الخارجية الكويتي

سقوط «داعشي» في واشنطن

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ سيمرّ وقت، قد يطول قليلا، قبل معرفة ما إذا كانت إدارة دونالد ترامب ستكون قادرة على إحداث تغيير كبير نحو الأفضل في الولايات المتحدة. ليس كافيا الاتكال على أن أداء إدارة باراك أوباما كان كارثيا على الصعيد الخارجي كي يكون نجاح الإدارة الجديدة مضمونا. أدّى أداء أوباما إلى انتصار دونالد ترامب على هيلاري كلينتون، لكنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّ عهده سيكون أفضل من عهد سلفه!

يبدو أن إدارة ترامب تعمل على إعادة النظر في تركيبتها. ليس معروفا بعد إلى أيّ حدّ ستصل إعادة النظر هذه. لكنّ ذلك لا يمنع، قبل كلّ شيء، الترحيب باستقالة الجنرال مايكل فلين من موقع مستشار الأمن القومي لترامب. لم يكن الرجل مؤهّلا لمثل هذا المنصب المهمّ بأيّ شكل. هذا ليس عائدا إلى أنّه على ارتباط واضح بالإدارة الروسية فحسب، بل إنّه عائد أيضا إلى موقفه المعلن من الإسلام كدين. إنّه موقف يتّسم بالجهل والعنصرية في آن.

كان فلين عاجزا عن فهم ما يدور في الشرق الأوسط والعالم بسبب ثقافته المتواضعة أوّلا، وعجزه عن أن يكون منفتحا على الآخر المختلف. كان مجرّد متزمّت لا يصلح لأيّ موقع في الإدارة الأميركية، أكان هذا الموقع صغيرا أو كبيرا. أعطى فلين الدليل تلو الآخر على أنّه "داعشي" على طريقته. مثل التطرّف ولا شيء آخر غير التطرّف، بدل السعي إلى محاربة الذين يدعي أنّه يريد محاربتهم، أي تنظيم إرهابي مثل "داعش".

يكفي للتأكّد من مدى خطورة شخص مثل فلين استعادة ما قاله عن أن "الإسلام ليس ديانة حقيقية، بل أيديولوجية سياسية تختبئ خلف ديانة". يريد، بكل بساطة، شنّ حرب على الإسلام. لا فارق لديه بين مسلم وآخر. بالنسبة إليه كل مسلم متطرّف وإرهابي لأنّه ينتمي إلى ديانة معيّنة. من يخلط بين الإسلام والإرهاب، إنّما لا يعرف شيئا لا عن الإسلام ولا عن الحرب على الإرهاب التي يقودها مسلمون بينهم قادة السعودية والمغرب والإمارات والأردن.

كان فلين، بأفكاره التبسيطية، يعيش في عالم آخر. لا يعرف حتّى ما هي الولايات المتحدة. لذلك سمح لنفسه بمقابلة السفير الروسي في واشنطن، سرغي كسلياك، ليبحث معه في العقوبات التي فرضها المجتمع الدولي على روسيا. أعطى انطباعا بأن الإدارة الجديدة مؤيّدة للتخفيف من العقوبات التي فرضت على روسيا بسبب أوكرانيا وتدخلها فيها. بدا واضحا أن الرجل يعمل لفلاديمير بوتين ويشاطره آراءه التي تفرّق بين بشار الأسد وإيران من جهة، و"داعش" من جهة أخرى.

من يفرّق بين النظام السوري وإيران من جهة ونشوء "داعش" وانتشاره إن في سوريا أو في العراق، إنّما يصعب عليه فهم طبيعة الصراع الدائر في الشرق الأوسط، والأسباب الحقيقية التي أدّت إلى صعود التطرف والإرهاب وانتشارهما. إنّه تفكير تبسيطي لا مفرّ لإدارة ترامب من الخروج من أسره في حال كانت تريد بالفعل القضاء على ما سمّاه الرئيس الأميركي، على طريقته، في خطاب القسم، "الإسلام المتطرّف".

المهمّ أن تستمر عملية التخلص من الشخصيات التي تشبه مايكل فلين، والتي مازالت تحيط بترامب. بين هذه الشخصيات ستيف بانون الذي لا يقلّ خطورة عن فلين، وستيفن ميللر، وسيباستيان وكاترين غوركا، على سبيل المثال وليس الحصر.

لا يزال باكرا التفاؤل بحدوث التغيير. ما يشجّع عليه أنّ المؤسسة الأميركية لا يمكن أن تقبل في نهاية المطاف وجود هواة في مناصب أساسية. ولذلك، سيكون في موقع مستشار الأمن القومي شخص مثل نائب الأدميرال روبرت هارورد أو الجنرال ديفيد بتريوس أو الجنرال كيث كيللوغ. سبق لهارورد أن عمل تحت قيادة الجنرال جيمس ماتيس وزير الدفاع الذي يعرف الشرق الأوسط عن ظهر قلب. كذلك الأمر بالنسبة إلى بتريوس الذي يعرف تماما ما هي مصادر الإرهاب في المنطقة، وأين يقع محل "داعش" في الإعراب وفي عالم الإرهاب عندما يكون مطلوبا التعاطي بجدّية مع هذه الظاهرة.

سيظل السؤال الذي سيطرح نفسه في الأسابيع القليلة المقبلة مرتبطا بالشكل النهائي الذي ستتخذه الإدارة الجديدة.

هناك أشخاص عدة فيها يمتلكون مؤهلات استثنائية مثل الجنرال ماتيس ووزير الخارجية ركس هاريسون الذي لديه علاقة قوية بعائلة بوش وبوزير الخارجية السابق جيمس بايكر الذي لعب دورا محوريا في عهد الرئيس جورج بوش الأب، إلى جانب الجنرال برنت سكوكروفت الذي كان مستشارا للأمن القومي وقتذاك. حال هذا الثلاثي دون الذهاب إلى بغداد للانتهاء من نظام صدّام حسين في العام 1991 من منطلق أن الإدارة لم تكن جاهزة سوى للتعاطي مع إخراج الجيش العراقي من الكويت وإعادة البلد إلى أهله. كان هناك وعي بضرورة الإعداد الجيّد لمرحلة ما بعد صدّام، بدل ترك البلد للميليشيات المذهبية المدعومة من إيران كما حصل بعد سقوط بغداد في نيسان – أبريل من العام 2003 عندما أقدم بوش الابن على مغامرة غير محسوبة النتائج، كاشفا أنّه لا يعرف الكثير عن الشرق الأوسط وتعقيداته.

في مرحلة ما بعد باراك أوباما تحتاج الولايات المتحدة إلى رجالات دولة وليس إلى أصحاب نظريات مضحكة – مبكية من نوع تلك التي يؤمن بها فلين وآخرون من المحيطين بدونالد ترامب.

لعلّ أول ما تحتاجه أميركا هو رجال يستعينون بتجارب عربية ناجحة، قادها رجال شاركوا في الحرب على الإرهاب ونشر الاعتدال مثل الملك محمد السادس والملك عبدالله الثاني والشيخ محمّد بن زايد وليّ عهد أبوظبي. هؤلاء الزعماء المسلمون اعتبروا منذ سنوات طويلة أن الحرب على الإرهاب هي حربهم أوّلا، وهي حرب على الذين يشوّهون الإسلام من داخل العالم الإسلامي، ومن خلال البرامج التعليمية والمتاجرة بالغرائز والاستثمار في توسعة الهوة بينها.

يفترض بدولة هي في الواقع القوّة العظمى الوحيدة في العالم عدم التخلي عن مسؤولياتها والانضمام إلى نظرية بوتين في مكافحة الإرهاب. لا يعني ذلك رفض التعاون مع روسيا عندما تكون على حقّ. على العكس من ذلك، لا شيء يمنع التعاون مع روسيا. ولكن يبقى الفارق كبيرا بين التعاون مع روسيا والرضوخ لها. كذلك، يبقى التعاون مع روسيا شيئا، ومكافأتها على ما فعلته في أوكرانيا أو في سوريا شيئا آخر.

سيعتمد الكثير على الفريق الذي ستكون له الكلمة الأخيرة في إدارة ترامب الذي ليس معروفا بعد مدى عمق العلاقة التي تربطه بالإدارة الروسية.

ما ليس معروفا أيضا هو مدى القدرة الروسية على ابتزازه لأسباب قد تكون لها علاقة بفضائح ذات طابع شخصي، سيؤدي كشفها يوما إلى عدم تمكين الرئيس الأميركي من إكمال ولايته وحلول نائبه مايك بنس مكانه.

في كلّ الأحوال، هناك وضع غريب عجيب في واشنطن. من بين الغرائب أنّ الصحافة الأميركية المحترمة لم تكن يوما معادية لرئيس أميركي منذ اليوم الذي دخل فيه البيت الأبيض، كما الحال مع دونالد ترامب...

> من يفرق بين النظام السوري وإيران ونشوء «داعش» وانتشاره إن في سوريا أو في العراق، إنما يصعب عليه فهم طبيعة الصراع الدائر في الشرق الأوسط، والأسباب الحقيقية التي أدت إلى صعود التطرف والإرهاب وانتشارهما

حسن روحاني في الكويت.. ثم ماذا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ في أجواء زيارة الرئيس الإيراني حسن روحاني للكويت وسلطنة عمان دعا المساعد السياسي لروحاني، حميد أبوطالبي، "الدول الصديقة" في الخليج إلى استغلال الفرصة. وقال في تغريدة له عبر حسابه في تويتر إن مبادرة روحاني بزيارة عُمان والكويت "مؤشر على ضرورة الصداقة والأخوة الإسلامية، والعودة إلى العلاقات الإقليمية الودية". كما اعتبرها "إنذارا بضرورة إنهاء الخلافات الدينية، والصراعات الطائفية، والعنف الإرهابي، وقتل الأبرياء والمشردين، والتوتر الإقليمي المتزايد في المنطقة".

وفي تغريدة أخرى، اعتبر أبوطالبي الزيارة "بشارة لتفاهم بين دول الخليج على تأمين الأمن المشترك، والقتال الموحد ضد الإرهاب والعنف والتطرف".

والحقيقة أن هذا كلام هام يشبه قلب الكرة الأرضية رأسا على عقب، فيصبح قطبها الشمالي في الجنوب، والجنوبي في الشمال. ولا وجود لواحدٍ قط في الدول العربية والعالم لا يتمنى أن يكون أبوطالبي صادقا، وروحاني أكثر منه صدقا وشرفا وإنسانية.

ولا حاجة لنا بأن نسأل، من اعتدى على من، ومن زعزع الأمن المشترك، ومن افتعل الصراعات الطائفية، ومن الذي موّل ودرّب وسلّح العنف الإرهابي في المنطقة، ومن الذي أفتى بقتل الأبرياء المشردين؟ أسئلة كثيرة أجوبتها فيها، ولا حاجة لمجيب.

ولكن، وبرغم أن روحاني لا يحل ولا يربط، ولا يستطيع أن يفي بأي وعد قد يقطعه لـ"الدول الصديقة" في الخليج العربي، فإن على محاوريه العرب أن يَعُدودا إلى العشرة قبل أن يثقوا بوعود الزائر الجديد، وأن يسألوا أنفسهم، قبل أن يسألوه، هل يستطيع إلزام المرشد الأعلى، ومن ورائه الحرس الثوري وقادة فيلق القدس، ومنهم قاسم سليماني، مثلا، بالموافقة على اتفاق مصالحة حقيقية مع دول الجوار والمنطقة؟ وهل يستطيع النظام القائم أساسا على اعتماد العنف وسيلة سياسية لفرض نفسه وصيا على المنطقة والحفاظ على وجوده، أن يتحمل الأثمان الباهظة التي لا بدّ أن يدفعها مقابل مصالحة حقيقية صادقة مع دول الجوار تقتضي، أول ما تقتضي، وأكثر من أي شيء آخر، لكي يبرهن على حسن نواياه، أن يعلن التخلي عن عقيدة تصدير الثورة إلى دول المنطقة بقوة السلاح، وأن يتوقف عن تمويل وتدريب وتسليح أحزاب وميليشيات عدوانية إرهابية طائفية تقوم نيابة عنه، وتنفيذا لأوامره ومخططاته، بزعزعة أمن شعوب المنطقة واستقرارها، ثم احتلالها واستعمارها؟ وهل سيأمر حرسه الثوري والميليشيات الطائفية اللبنانية والعراقية والأفغانية التابعة له بالخروج من سوريا؟ وهل سيقطع حبل السرة مع حزب الله، ويوقف مدّه بالمال والسلاح، لكي يعود حزبا مدنيا سياسيا وطنيا لبنانيا غير مسلح، ولا يعبث بمقدرات الشعب اللبناني، باسم المقاومة والممانعة؟

وهل سيغلق مراكز تدريب الميليشيات الخارجية التابعة لقوات الحرس الإيراني التي يديرها فيلق القدس، والتي تنتشر في أنحاء مختلفة من إيران، والتي يقوم فيها ضباط فيلق القدس بتدريب عناصر الميليشيات الطائفية المستوردة من سوريا واليمن ولبنان والعراق وأفغانستان؟

بصراحة، لا يتوقع مواطن واحد، من الخليج إلى المحيط، بعد كل الذي جرى وصار، أن تتمخض هذه الزيارة عن شيء ذي قيمة، عدا فائدة واحدة جيدة يمكن اقتطافها منها هي البرهنة على حقيقة أن عنجهية النظام الإيراني لا يَبطُل مفعولُها إلا عندما يشعر بخطر داهم يتطلب من قادته، متشددين وإصلاحيين، أن يلجأوا إلى التقية والانتهازية، على طريقة "تمسكن إلى أن تتمكن".

ففي أجواء الإدراك الأميركي المتأخر في عهد إدارة دونالد ترامب لحقيقة كون النظام الإيراني بؤرة القلق والتوتر في المنطقة، وأنه مموّل الإرهاب الأول، بنوعيه، السني والشيعي معا، وفي ظل إصرار الإدارة الجديدة على مواجهته لحماية مصالحها في المنطقة، كان طبيعيا أن يتواضع المرشد الأعلى، ويتعطف ويتلطف، ويحمل رئيس الجمهورية "بشارة" تفاهم مع دول الخليج، لتحييدها، ومنعها من التفاهم مع ترامب، واحتمال أن تضع أيديها في يده لمحاصرة إيران، وربما الهجوم على بعض مواقع قوته الضاربة.

فمهما نتج أو ينتج عن زيارة حسن روحاني لدول الخليج العربية، فإن إيران لن تخرج من سوريا، ولن تترك العراق للعراقيين، ولا لبنان للبنانيين، ولا اليمن لليمنيين، ولا البحرين للبحارنة، ولا السعودية للسعوديين، ولا الكويت للكويتيين.

لأن أيّ مصالحة حقيقية يعقدها النظام الإيراني مع دول الإقليم لا بد أن تكون لها نتيجتان، كلٌ منهما تربكه وتهدد وجوده. أولاهما انكشاف حقيقته أمام الطائفة الشيعية في العالم، والشيعة العرب في المقدمة، والتأكد من أنهم ليسوا سوى حطب لناره، وجنودٍ يقاتلون في سبيله، فيَقتلون ويُقتلون، دونَ أن يضطر إلى الزج بمقاتلين إيرانيين في حروبه التي لا تتوقف.

وثانيهما شماتة شعبه به، وخصوصا ملايين المعارضين لظلمه ودكتاتوريته وهمجيته، وهو ما لا طاقة له به.

ففي شهر فبراير من العام الماضي قال المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، وهو يؤبن 46 عسكريا إيرانيا قتلوا في اشتباكات مع المعارضة السورية، إنها "حرب الإسلام على الكفر".

وقد نقل، يومها، الأمين العام إلى مجلس صيانة الدستور أحمد جنتي قول خامنئي "لو لم يذهب الشباب للقتال في سوريا، ولو لم يقاتلوا هناك، لكنا نقاتل العدو في كرمنشاه وطهران وأصفهان".

إنه، بهذا يعترف، بالقلم العريض، بأن الهجوم على شعوب المنطقة هو وسيلته الوحيدة للدفاع عن بقائه في إيران ذاتها.

وليس على ذلك اعتراض. ولكن إذا ما لجأ خصومه "الكفار" السوريون والعراقيون واللبنانيون واليمنيون والخليجيون، بالمقابل، إلى نفس مبدأ المرشد الأعلى، "الهجوم أفضل أنواع الدفاع"، واصطفوا مع ترامب، ومع أي قوة أخرى على الأرض، لردعه ورده، لن يكون حراما ولا منكرا ولا عدوانا على إيران ولا على وكلائها. إذ ستكون، عندئذ، "بضاعتُها قد ردت إليها" بالكمال والتمام.

وبعبارة أوضح. لا يفل الحديد غير الحديد. والسن بالسن، والعين بالعين، والبادئ أظلم.

> هل يستطيع النظام القائم على اعتماد العنف وسيلة سياسية لفرض نفسه وصيا على المنطقة، أن يتحمل الأثمان الباهظة التي لا بد أن يدفعها مقابل مصالحة حقيقية مع دول الجوار تقتضي أن يعلن التخلي عن عقيدة تصدير الثورة إلى دول المنطقة بقوة السلاح؟

للمشاركة والتعقيب:
opinion@alarab.co.uk